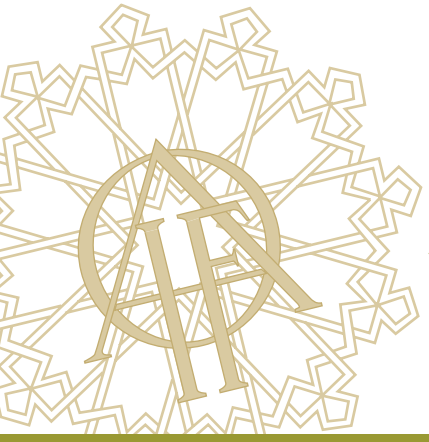
MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 37 (2003), p. 1-30

Usāma Ṭalʿat ʿAbd Al-Naʿīm

.Lebla madīnat fī islāmiya-al difāʿiya-al ʿImāra-Al العمارة الدفاعية الإسلامية فى مدينة لبلة

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724711264	*La chapelle d'Osiris Ounnefer Neb-djefaou*	Laurent Coulon
9782724711752	*Guide du Caire Islamique*	Hadrien Collet
9782724711660	*Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales 41*	Adrien Candiard (éd.)
9782724711745	*Bulletin archéologique des Écoles françaises à l'étranger (BAEFE)*	
9782724711271	*Du côté de chez Zeus*	Emmanuel Botte (éd.), Hélène Cuvigny (éd.), Michel Reddé (éd.)
9782724711677	*La Description de l'Égypte*	Paul-Marie Grinevald
9782724711714	*La pensée et la pratique pharmacologiques d'Avicenne*	Sylvie Ayari
9782724711899	*BCAI 40*	

© Institut français d'archéologie orientale - Le Caire

أسامة طلعت عبد النعيم

العمارة الدفاعية الإسلامية فى مدينة لبلة

كنت قد تناولت فى دراسة سابقة الاستحكامات الحربية الإسلامية فى مدينة إشبيلية وحصنيها: طريانه والفرج[1]، وقمت أثناء وجودى فى اسبانيا فى بعثة لجمع المادة العلمية لهذه الدراسة بزيارة العديد من المدن الأندلسية التى لاتزال محتفظة سواء بكثير أو بقليل من تراثها المعمارى والفنى الإسلامى، ومن بين تلك المدن لبلة (Niebla) التى تنفرد بين المدن الأندلسية باحتفاظها بأسوارها متكاملة؛ بالإضافة إلى أجزاء من مسجدها الجامع الذى تحول إلى كنيسة تعرف الآن بكنيسة سانتا ماريا دى لا جرانادا (Santa María de la Granada)، فضلاً عن احتفاظ عمران المدينة داخل الأسوار بتخطيطه الإسلامى المتمثل فى الشوارع والدروب الضيقة كثيرة الانحناءات[2].

ولما كانت المكتبة العربية فى مجال الآثار الإسلامية تخلو من دراسة قائمة بذاتها عن هذه المدينة وآثارها؛ لاسيما أسوارها، فقد رأيت تخصيص هذه الدراسة لها فى محاولة لإلقاء الضوء على عمارتها وتأريخها، لاسيما أن تلك الأسوار وما ينفتح بها من أبواب تمثل نموذجاً متكاملاً للعمارة الدفاعية الأندلسية ومرحلة هامة من مراحل تطورها.

[1] عبدالنعيم، أسامة طلعت، الاستحكامات الحربية الإسلامية فى إشبيلية وضواحيها حتى سقوط دولة الموحدين (٩٣-٦٤٦هـ/٧١٢-١٢٤٨م)، رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩٣م.

[2] عنان، محمد عبدالله، الآثار الأندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٣٩٢.

AnIsl 37 (2003), p. 1-30 Usāma Ṭal'at 'Abd Al-Na'īm

وقدمت لهذه الدراسة بعرض لموقع المدينة وخصائصه، وعرضت بعد ذلك ما جاء عن تحصيناتها عند الرحالة والجغرافيون المسلمون، واتبعته بالدور الذى قامت به تلك التحصينات فى تاريخ المدينة السياسى، ثم الدراسة الآثارية التحليلية لسورها، ونظراً لأنه لم يرد فى المصادر والمراجع العربية القديمة التى اطلعت عليها ما يحدد تاريخ بناء هذا السور، فضلاً عن خلوه من النقوش الكتابية؛ فقد آثرت تناول تأريخه بعد عرض وتحليل العناصر المذكورة لاعتماده عليها.

موقع المدينة وخصائصه

لبلة مدينة قديمة أطلق عليها الرومان إيلبولا (Ilipula) وأحاطوها بأسوار حصينة، ثم أطلق عليها القوط الغربيون من بعدهم اسم إلبله (Elepla)، واشتق منه المسلمون بعد ذلك الاسم الذى عرفت به[٣]. ولبلة بكسر اللام وسكون الباء أو بفتح اللام وسكون الباء والوجهان جائزان[٤] حالياً مدينة صغيرة جنوب غرب اسبانيا، وتتبع محافظة أولبة (Huelva) إحدى محافظات إقليم الجنوب المعروف بأندلوثيا (Andalucía). وتقع لبلة على بعد ٧٢ ك.م غربى إشبيلية، و٣٥ ك.م شمال شرقى مدينة أولبة عاصمة المحافظة (شكل ١)، والمدينة مشيدة على تل قليل الارتفاع، ويظهر هذا الارتفاع بوضوح فى الجهتين الشرقية والجنوبية، أما فى الجهتين الشمالية والغربية فينبسط مستوياً بميل يكاد لا يلاحظ، وتشرف المدينة فى الجهتين الشرقية والجنوبية على نهر تينتو (Río Tinto) (شكل ٢)[٥] وتعنى: النهر الأحمر، وأطلق عليه الجغرافيون المسلمون: نهر لَهْشَر أو تَهْشَر[٦]؛ ونهر

[٣] Sánchez, Jose Juan de Paz, *La Cultura Islamica en Huelva, Jornadas Europeas*, Junta de Andalucia, 1995, p. 60.

[٤] ابن الشباط (محمد بن على بن محمد) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، صلة السمط وسمة المرط، قطعة من الكتاب فى وصف الأندلس وصقلية، تحقيق د. أحمد مختار العبادى، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص١٧٤.

[٥] Moreno, María del Mar Pérez, *Niebla Historiadad y monumental*, Huelva, 1996, p. 7.

[٦] الرازى (ابى بكر أحمد بن محمد بن موسى) ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، صفة الأندلس، قطعة من جغرافية الرازى، ترجمها الأستاذ ليفى بروفنسال إلى اللغة الفرنسية ونشرها فى مجلة الأندلس تحت عنوان ،

La «Description de l'Espagne» d'Ahmad al-Razi, *Al-Andalus*, vol. XVIII, fasc. 1, 1953, p. 91.

القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.، ص٥٥٥.

طِنْتُس[٧]، وينبع من جبال قَطْرَشانه[٨] (Sierra de Aracena) شمال شرق لبلة[٩]، ويمر بها متجهاً إلى الجنوب الغربى حيث يلتقى بوادى القناطر (Río Odiel) عند مدينة أولبة، ثم يصب فى المحيط الأطلنطى عند جزيرة شلطيش (Saltés).

وكان بالمدينة ثلاثة عيون: الأولى عين لهشر أو تهشر وهى ذاتها النهر السابق ذكره، وانفرد ابن غالب بتسميتها: عين لميس وماؤها عذب غزير[١٠]، والثانية عين «تنبعث بالشّبْ» وهو المعروف الآن بالشّبّة، والثالثة «تنبعث بالزّاج» وهى كبريتات الحديد حسب ما ذكر الأستاذ (ليفى بروفنسال) فى ترجمته لقطعة من كتاب «صفة الأندلس» للرازى[١١]، وكانت مياه هذه العيون تجتمع معاً «فإذا غلبت عين ماء لهشر صار الماء عذباً، وإذا غلبت عين الشب أو الزاج حال طعم الماء»[١٢].

ومن الواضح أن غلبة كبريتات الحديد «الزاج» والتى تتميز باللون الأحمر على ماء النهر؛ كانت سبباً فى تسميته حالياً بالنهر الأحمر، وهو لون لاينفرد به ماء النهر فقط، بل تشاركه أيضاً أرض المدينة وترابها إذ ترتفع فيهما نسبة الحديد مما يكسبهما نفس اللون، ولما كان هذا التراب قد استخدم مخلوطاً بالماء والجير وغيره فى تركيب الطابية التى استخدمت كمادة بناء أساسية فى أسوار المدينة، لذلك غلب عليها – أى المدينة وأسوارها – ذلك اللون، مما يفسر سبب إطلاق المسلمون عليها اسم «لبلة الحمراء»[١٣]، واشتهارها بدبغ الجلود الحمراء[١٤].

[٧] الحموى (شهاب الدين ابى عبدالله ياقوت) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم البلدان، (٨) أجزاء، دار صادر، بيروت، د.ت.، جـ٢، ص٣٠١.
وتجدر الإشارة إلى تشابه المقاطع الصوتية بين هذه التسمية (طنتس) وبين الاسم الحالى للنهر (تينتو)، لاسيما إذا وضعنا فى الاعتبار خلو اللغة الاسبانية بطبيعة الحال من حرف (الطاء)، واستعمال مقابله بها وهو حرف(T).

[٨] العذرى (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس) ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، قطعة من الكتاب حققها ونشرها د. عبدالعزيز الأهوانى، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م، ص١١٠.

[٩] الإدريسى (أبو عبيدالله محمد بن محمد بن إدريس الحمودى) ق٦هـ/١٢م، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، جزآن، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.، جـ٢، ص ٥٤١؛ الحميرى (محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم) جمعه سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م، الروض المعطار فى خبر الأقطار، منتخبة من الكتاب حققها ليفى بروفنسال ونشرها تحت عنوان «صفة جزيرة الأندلس» مصحوبة بترجمة للغة الفرنسية، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٦٩.

[١٠] ابن غالب (محمد بن أيوب الغرناطى) ق٦ هـ/١٢م، فرحة الأنفس فى أخبار الأندلس، قطعة من الكتاب، تحقيق د. لطفى عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد (١)، الجزء (٢)، ١٩٥٥م، ص٢٣.

[١١] الرازى، صفة، ص٩٢.

[١٢] القزوينى، آثار، ص٥٥٥.

[١٣] الرازى، صفة، ص٩٢، ابن غالب، فرحة، ص٢٢، الحموى، معجم، جـ٢، ص٣٠١.
وتجدر الإشارة هنا إلى وجود هذه الخاصية أيضاً فى تربة «جبل السبيكة» المشيدة عليه قصور الحمراء بغرناطة، واستخدم ترابه فى بناء أسوار القصبة والقصور، وكانت سبباً فى تسميتها بقصور الحمراء. لمزيد من التفاصيل انظر: الجمل، محمد عبدالمنعم، منشآت سلاطين بنى نصر فى قصور الحمراء، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد، المجلد (٢٨)، مدريد، ١٩٩٦، ص٦٢.

[١٤] العذرى، ترصيع، ص١١١؛ ابن الشباط، صلة، ص١٤٥.

وكان لجودة الأراضى المحيطة بالمدينة أثره فى وفرة المنتجات الزراعية بها لاسيما الزيتون والعنب والعُصفُر[١٥]، وانتشرت بها الأسواق والمتاجر[١٦]، فكانت «كثيرة الخير صالحة القدر»[١٧]. كما كان لموقع المدينة على تل قليل الارتفاع وسط أرض سهلية وقربها من المحيط الأطلنطى أثره فى توافر خيرات البر والبحر بها، ووصفها بأنها «سهلية جبلية برية بحرية»[١٨]، «جامعة لكل وجه من وجوه الفوائد، محبوة بصنوف الخيرات، لم يبعد عنها شىء من المرافق»[١٩].

تحصينات المدينة عند الرحالة والجغرافيون المسلمون

وصف ابن حوقل لبلة فى القرن الرابع الهجرى (١٠م) بقوله: «وهى مدينة قديمة أزلية ... عليها سور»[٢٠]، وتعد هذه أقدم إشارة مباشرة إلى وجود سور للمدينة فى ذلك الوقت. وأضاف العذرى (المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) بعض التفاصيل الهامة عن هذا السور فقال: «وسور مدينة لبلة عقد بناؤه على تصاوير خلق، وما أناف من سامق ذلك البناء موضوع على أعناقهم. وانفردت بهذه البنية بين جميع المدن»[٢١]. والتصاوير المشار إليها هنا كانت تماثيل قديمة – لعلها رومانية – منتصبة فى سمت بناء السور بشكل معتدل، تدل على ذلك أجزاء مفقودة من نص العذرى؛ ولكنها وردت كاملة فيما نقله القزوينى (القرن ٧هـ/١٣م) عنه، وجاء عنده أن «سور المدينة قد عقد بناؤه على تصاوير أربعة: صنم يسمى دردیا وعليه صنم آخر، وصنم يسمى مكيخا وعليه صنم آخر. والمدينة مبنية على هذه الأصنام وما علا من البناء موضوع على أعناقها»[٢٢]. وحدد هذا النص أسماء التماثيل وعددها وتوزيعها. وقد أورد الحميرى (القرن ٩هـ/١٥م) نصاً مشابهاً لتلك النصوص ومن الواضح أنه منقول عنها ولكن به

[١٥] ابن سعيد الأندلسى (ابى الحسن على بن موسى) ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، المُغرب فى حلى المَغرب، القسم الثالث الخاص بالأندلس، تأليف ابن سعيد وآخرين، جزآن، تحقيق د. شوقى ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م، جـ١، ص٣٣٩؛ الحموى، معجم، جـ٥، ص١٠.

[١٦] الإدريسى، نزهة، جـ٢، ص٥٤١.

[١٧] ابن حوقل (ابى القاسم بن حوقل النصيبى) المتوفى فى النصف الثانى من القرن ٤هـ/١٠م، صورة الأرض المعروف بالمسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامى، د.ت، ص١١٠ .

[١٨] ابن الشباط، صلة، ص١٤٥.

[١٩] الرازى، صفة، ص٩٢؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٣٣٩.

[٢٠] ابن حوقل، صورة، ص١١٠.

[٢١] العذرى، ترصيع، ص١١٠.

[٢٢] القزوينى، آثار، ص٥٥٥.

AnIsl 37 (2003), p. 1-30 Usāma Ṭal'at 'Abd Al-Na'īm

بعض التصحيف، وجاء فيه أن «سور لبلة قد عقد على أربعة تماثيل: صنم تسميه العامة دردب، وعليه صنم آخر، وصنم تسميه العامة مكبح، وعليه صنم آخر، ويخيل إلى الناظر أن ذلك البنيان موضوع على أعناقهم»[٢٣]. وينحصر الاختلاف بين نص الحميرى ونص القزوينى فى أسماء التماثيل، وفى تصريح الحميرى بأنها «تماثيل». ولما كان العذرى هو الأصل فى هذه النصوص، لذلك يمكن القول أن هذه النصوص تصف السور الذى كان قائماً حتى زمن العذرى أو بمعنى آخر حتى بداية النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (١١م)، ولكن لاوجود له الآن، أما عن سبب وجود مثل هذه التماثيل فى السور فمرجعه إلى أحد احتمالين، الأول: هو أن السور الذى وصفه العذرى ومن نقلوا عنه كان مشيداً قبل العصر الإسلامى وكانت هذه التماثيل موضوعة فيه، واكتفى المسلمون بترميم ما يسقط منه، لذلك ظلت هذه التماثيل باقية حتى ذلك الوقت، والاحتمال الثانى: أن هذا السور من انشاء المسلمين واستخدموا تلك التماثيل كحشو فى بنائه وكانت ظاهرة للعيان. وقد وصف الإدريسي مدينة لبلة فى منتصف القرن السادس الهجرى (١٢م)، وقال أن «لها سور منيع»[٢٤]، ولم يُشر إلى هذه التماثيل.

ونخلص من ذلك إلى أنه يمكن تقسيم ما جاء عند الرحالة والجغرافيون المسلمون عن سور لبلة إلى مرحلتين تاريخيتين: المرحلة الأولى ووصفت السور الذى كان قائماً حتى بداية النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (١١م) وجاء وصفه عند ابن حوقل والعذرى ومن نقلوا عنه وكانت به تماثيل واندثر الآن، والمرحلة الثانية وقد أشارت إلى السور الذى كان قائماً فى منتصف القرن السادس الهجرى (١٢م) وأشار إليه الإدريسي ولايزال باقياً.

[٢٣] الحميرى، الروض، ص١٦٨-١٦٩.

[٢٤] الإدريسي، نزهة، جـ٢، ص٥٤١.

تحصينات المدينة ودورها فى تاريخها السياسى

على الرغم من أن المصادر والمراجع العربية التى اطلعت عليها والتى تناولت تاريخ الأندلس بشكل عام – ولبلة جزء منه – لم ترد بها سوى إشارات قليلة غير مباشرة عن تحصينات المدينة، إلا أنه يمكن استقراء وجود تلك التحصينات من خلال بعض الأحداث التاريخية التى تدل مجرياتها على وجود تلك التحصينات.

وقد كان الفتح الإسلامى للمدينة على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤هـ (٧١٣م)[٢٥]، وعندما توافد العرب على الأندلس بعد الفتح؛ أصبحت لبلة سكناً لجند حمص الذين وفدوا مع أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى عند توليه الأندلس سنة ١٢٥هـ (٧٤٣م) وصارت قاعدة لكورة تحمل اسمها وتضم عدداً من الأقاليم[٢٦]. ولما قامت الثورات بين العرب والبربر والمولدين فى أنحاء الأندلس فى أواخر عصر الإمارة كان عثمان بن نصر ممن ثاروا بها، وبعد تولى عبدالرحمن بن محمد واتباعه سياسة الشدة تارة واللين تارة أخرى للقضاء على الثورات، أرسل حاجبه بدر بن أحمد على رأس جيش إلى لبلة، فبعث الحاجب بدر بالأمان إلى عثمان وأصحابه ووعده بتنفيذ ما يرغب فيه، إلا أن عثمان رفض وأصرّ على العصيان، فتحرك بدر نحوه «واضطرب بالعسكر على باب المدينة بضروب من الخيل، وجاءوا [بعض أهل المدينة] إلى الحاجب بدر، منتزين من عثمان بن نصر، راغبين فى الطاعة، لائذين بالأمان، فأمّنهم بدر وأقاموا عنده، وبانت له الفرصة فى عثمان وحربه، فساوره [حاصره] فى المدينة، وجَد فى حربه إلى أن اقتحم عليه المدينة ليلة الاثنين لعشر بقين من رمضان»[٢٧] سنة ٣٠٤هـ (١٧ مارس ٩١٧م). وتدل هذه الحادثة – فيما أرجح – على أن المدينة كانت مسورة فى ذلك الوقت مما شجع عثمان على التحصن بها، وحالت تلك الأسوار دون أن يدخلها الحاجب بدر مباشرة فتوجه صوب بابها، فلما أُغلق حاصرها، ولو لم تكن المدينة مسورة ما كانت هناك حاجة «لاقتحامها» واختيار «الليل» لتنفيذ ذلك.

[٢٥] ابن عذارى (ابو عبدالله محمد المراكشى) المتوفى بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وليفى بروفنسال، الطبعة الثالثة، (٤) أجزاء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، جـ٢، ص١٥؛ كحيلة، عبادة عبدالرحمن، القطوف الدوانى فى التاريخ الإسبانى، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٥٥ ، ٥٦.

[٢٦] العذرى، ترصيع، ص ١١٠ ، ١١١؛ ابن عذارى، البيان، جـ٢، ص٣٣.

[٢٧] ابن حيان (ابو مروان حيان بن خلف بن حسين) ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، قطعة من الجزء الخامس، تحقيق بدرو شالميتا، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، ص ١٢٨؛ مؤلف مجهول، مدونة تاريخية تتناول عصر عبدالرحمن الناصر، نشرها ليفى بروفنسال واميليو جارثيا جومث باللغة العربية مصحوبة بتقديم ودراسة وترجمة للغة الإسبانية، غرناطة، ١٩٥٠م، ص٥٣.

وعندما ضعفت سلطة المرابطين فى أواخر عهدهم، وقامت ضدهم ثورات عديدة بدأت فى غرب الأندلس، وكان على رأس الثوار أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قَسِيّ الذى ادعى الولاية فى ميرتله (Mertola)، وأطلق على اتباعه «المريدين»[٢٨]، وانضم إليه أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر فى شلب (Silves) (شكل ١)، وحمل راية نشر دعوة بن قَسِيّ، وخرج بجيشه سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) صوب أولبة فاستولى عليها، وسار منها إلى لبلة «فقاتلها حتى ملكها بمعاونة يوسف بن أحمد البطروجى أحد مردة الثوار من هؤلاء المريدين، وأنزل من تمنع فى بروجها من الملثمين [المرابطين]»، ثم توجه صوب إشبيلية، فلما علم بخروج أبى زكريا يحيى بن غانية أمير الأندلس المرابطى بجيوشه من قرطبة لمقاتلته؛ «أسرى محمد بن المنذر ليلة إلى لبلة، وأقام بها يومين يحصنها، ثم لحق بشلب وترك يوسف البطروجى بها. فنازله ابن غانية فى جيوشه ثلاثة أشهر، وذلك فى كَلَب الشتاء وحدته، إلى أن بلغه قيام ابن حمدين بقرطبة، فانصرف...»، «وقد أعجزه أمره وتعذر عليه فتحها...»[٢٩]. ويتضح من خلال هذه النصوص ثلاثة عناصر هامة وهى:

أولاً: أن المدينة كانت محاطة فى ذلك الوقت – سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) – بأسوار ذات أبراج تحصن بها المرابطون.

ثانياً: أن هذه الأسوار تعرضت فى ذلك الوقت أيضاً لما يمكن أن نسميه «ترميم سريع» خلال يومين لرفع كفاءتها الدفاعية.

ثالثاً: أن هذه الأسوار كانت منيعة وأدت دورها الدفاعى فلم يستطع ابن غانية تخطيها واضطر لحصار المدينة ثلاثة أشهر دون طائل.

وتعرضت المدينة فى بداية عصر الموحدين لهجوم مباغت سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) من قبل على الوهَيبي أحد ثوار غرب الأندلس وأعوانه، «وغدر مدينة لبلة ليلاً وأهلها نيام فلم يشعروا إلا وقد حل بهم الداء الهيام فكان منهم قوم سبقوا إلى قصبة الموحدين ودخلوا فيها فأمنوا من عادية الحادثة ودعاويها وأن الجميع ذهلوا فلم يقدروا على الوصول [إلى القصبة] وحصلوا فى حالة ذهول. فحين وصل الخبر إلى أبى زكريا [يحيى

[٢٨] ابن الخطيب (لسان الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله) ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، أعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثانى، نشره وحققه ليفى بروفنسال تحت عنوان «تاريخ إسبانية الإسلامية»، بيروت، ١٩٥٦ م، ق٢، ص٢٤٨–٢٤٩.

[٢٩] ابن الأبار (ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابى بكر) ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، الحلة السيراء، جزآن، تحقيق د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م، جـ٢، ص٢٠٣–٢٠٦ ، ٢١٨.

ابن يومور] وهو بقرطبة خرج من فوره بعسكره وسرى ليلاً ونهاراً إلى لبلة، فلما قاربها تقدم سرعان الموحدين فدخلوا القصبة إلى أخوانهم فتقووا بهم وأبو زكريا على أثرهم فهرب الشقى المذكور...»[٣٠]. ويحدد القضاعى تاريخ دخول ابن يومور لبلة بيوم الأربعاء ١١ شعبان سنة ٥٤٩هـ[٣١] (٢١ أكتوبر ١١٥٤م). وتؤكد هذه الحادثة أن المدينة كانت مسورة، وأضافت نقطة جديدة إلى تحصيناتها وهو وجود قصبة (حصن أو قلعة)، وواضح أنها كانت من إنشاء الموحدين فنسبت إليهم، كما كان الحال فى العديد من المدن الأندلسية الأخرى التى أنشأ الموحدون بها قصاباً فنُسبت اسماؤها إليهم ومنها: قصبة الموحدين فى إشبيلية وفى بطليوس وفى شريش وغيرهم. وأوضح النص ضمناً الغرض الدفاعى لبناء القصبة، إذ كانت تستخدم كخط دفاع ثانى عن المدينة، ولجأ إليها من تدارك الموقف من أهل المدينة عندما فاجأها الوهَيبي «ليلا»، وكانت بها حامية من الموحدين تحصنوا بها حتى «تقووا» بمن وصلهم من عساكر الموحدين ممن كانوا فى مقدمة قوات ابن يومور. وإن كانت هذه القصبة قد هدمت فى القرن ١٥م، إلا أنه شيدت فى نفس موقعها قلعة (لوس جوثمانيس Castillo de Los Guzmanes)[٣٢] التى لاتزال باقية، وتفيد فى التعرف على موضع القصبة بالنسبة للمدينة وسورها، إذ كانت فى القسم الشمالى الشرقى من المدينة فيما بين باب إشبيلية وباب النجدة (شكل ٢). وأرجح من خلال تسمية القصبة ودورها فى هذه الحادثة أنها كانت قد شيدت فى الفترة ما بين سنة ٥٤١هـ (١١٤٧م) وهو تاريخ دخول المدينة فى طاعة الموحدين، وسنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) وهو تاريخ حركة الوهَيبي المذكورة.

ولما تصدع حكم الموحدين انقسم مسلموا الأندلس على أنفسهم، وتفرقت كلمتهم بين الزعماء الذين ظهروا فى تلك الفترة، برز فى لبلة القاضى شعيب بن محمد بن محفوظ بن محمد، واستقل بها وما حولها وتلقب بالمعتصم سنة ٦٣٢هـ[٣٣] (١٢٣٥م)،

[٣٠] ابن عذارى (ابو عبدالله محمد المراكشى) المتوفى بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، القسم الثالث، تاريخ الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبدالقادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥، ص٥٢.

[٣١] القضاعى (أبى عبيدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر) ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق د. عبدالسلام هراس، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص٥٥.

[٣٢] Maldonado, Basilio Pavón, Torre octógon de Niebla, en «Arte y Arqueología Hispanomusulmanas», *Al-Qantara*, vol. I, 1980, p. 411.

[٣٣] ابن عذارى، البيان (الموحدين)، ص٣٣١؛ ابن ابى زرع (ابو الحسن على بن عبدالله الفاسى) ق٨ هـ/١٤م، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ٢٧٦؛ عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام فى الأندلس، (٦) أجزاء، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٨–١٩٩٠م، جـ٥، ص٤١٦.

وظل محتفظاً بها قرابة ثلاثين عاماً، وبعد أن تولى الفونسو العاشر عرش قشتالة؛ هاجم لبلة بجيوشه واستولى عليها صلحاً سنة ٦٦١هـ (١٢٦٢م) «بعد حصار عظيم وأمر جسيم»[٣٤]، وجاء فى المدونة التاريخية للملك الفونسو العاشر نفسه أن الحصار امتد لتسعة أشهر «وفى ذلك الوقت كانت المدينة حصناً عظيماً محاطة بسور وأبراج منيعة»[٣٥]، ويضيف الأستاذ (عبدالله عنان) اعتماداً على ما ذكره الأستاذ (لافوينتى Lafuente) أن «أبرز ما فى حوادث هذا الحصار ما قام به المسلمون من إطلاق النار والحجارة من فوق أسوار المدينة، من آلات قاذفة شديدة الفتك، يصحبها دوىّ كالرعد، لم يعرف كنهها ولم يسبق استعمالها فى شبه الجزيرة [الإيبيرية]، تشبه المدافع البدائية، وقد فتكت هذه الآلات بالجيش المحاصر وأرغمته على إطالة الحصار أكثر من تسعة أشهر»[٣٦]. وتثبت هذه النصوص بوضوح ما كان لأسوارها من دور دفاعى، وأن تسليمها كان صلحاً، كما تثبت أن تلك الأسوار كانت منيعة متماسكة حتى آخر لحظات تاريخها الإسلامى.

ويتضح من خلال هذا العرض ما كان لتحصينات المدينة من دور فى تاريخها، وتتمثل هذه التحصينات فى: سور المدينة وقصبتها، وقد برز سور المدينة بين ثنايا الأحداث منذ أواخر عصر الإمارة الأموية، وظهر دوره بوضوح فى أواخر عصر المرابطين وخلال عصر الموحدين وحتى سقوط المدينة فى يد القشتاليين ولايزال باقياً حتى الآن. أما القصبة فقد ظهر دورها فى بداية عصر الموحدين، وقد اندثرت الآن.

[٣٤] ابن عذارى، البيان (الموحدين)، ص٤٣٠.

[٣٥] Rosell, Cayetano, Crónica del rey D. Alfonso X, en *Crónica de los Reyes de Castilla*, Madrid, 1953, p. 6.

[٣٦] عنان، دولة، جـ٥، ص٤٩٢-٤٩٣.

الدراسة الآثارية التحليلية لسور المدينة

يحيط السور بالعمران الحالى للمدينة من جميع الجهات مشتملا على (٤٢) برجاً ضمنها خمسة أبراج تفتح بها أبواب، وأغلب السور فى حالة جيدة لاسيما بعد عمليات الترميم التى أجريت به على مراحل فيما بين سنتى ١٩٨٢ و١٩٨٦م[٣٧]، وترى هذه الترميمات فى جهات عديدة منه (صورة ١)، ويمتد القطاع الشرقى من السور – فيما بين البرجين (٥) و(١٢) – موازياً للنهر، ويقترب منه فى القسم الجنوبى فيما بين الأبراج (٩) و(١٢)، وهذا القسم الأخير لايزال على حالته الأصلية ولم يرمم لوقوعه فى أرض ملكية خاصة، وهو فى حالة متهدمة نظراً لقربه من النهر وتعرضه لمياه النهر عند فيضانه. ويبتعد القطاع الجنوبى من السور عن النهر تدريجياً، ثم ينحرف ثلاث مرات: الأولى عند البرج رقم (٢٤) والثانية عند البرج رقم (٣١) والثالثة عند البرج رقم (٣٤)، ويمتد بعد ذلك على هيئة خط شبه مستقيم مكوناً القطاع الشمالى من السور، والذى يقطع مساره الآن مبنى قلعة (لوس جوثمانيس Castillo de los Guzmanes) التى حلت محل القصبة الموحدية (شكل ٢).

ويتخذ السور بصفة عامة شكل غير منتظم ناتج فيما أرجح عن عدة عوامل منها:

١– موقع المدينة بالنسبة للنهر: حيث تقع فى منطقة ينحرف عندها النهر مكوناً زاوية قائمة تقريباً، وتمت الاستفادة منه كخندق طبيعي يزيد من تحصين المدينة، لذلك شيد القطاعين الشرقى والجنوبى من السور بموازته. وتجدر الإشارة إلى أن لبلة لاتنفرد بهذا الموقع دون غيرها، بل يمكن القول أن هذه خاصية تميزت بها مدن الأندلس، إذ أن أغلبها مشيد إما على نهر رئيسى أو رافد، وبالتحديد فى منطقة ينحرف عندها النهر للاستفادة منه فى تحصين المدينة، وتشاهد هذه الخاصية فى مواقع كل من: أنتَقِيره وتُطيله ولَوشه وبَطَلْيَوس وأُوريوله[٣٨] وإشبيلية واستَجه.

٢– تضاريس المدينة: إذ شيدت فوق تل قليل الارتفاع غير مستوى السطح ينحدر نحو النهر، لذلك امتدت الأسوار مع حدود هذا التل لاسيما فى الجهتين الشرقية والجنوبية (صورة ١)، على العكس من الجهة الشمالية وهى ذات أرض مستوية لذلك امتد السور خلالها على هيئة خط أقرب إلى المستقيم (شكل ٢).

[٣٧] Guarner, Ismael, «Muralla de Niebla. Restauración», *El Croquis*, Madrid, 1987, p. 82.

[٣٨] Balbás, Leopoldo Torres, *Ciudades Hipanomusulmanas*, 2 Tomos, Madrid, 1971, t. 2, p. 115.

٣- عمران المدينة وقت إنشاء السور: وإن كان ليس هناك دليل أثرى أو تاريخى مباشر يرشد عنه بشكل واضح، إلا أنه بديهي أن الامتداد العمرانى للمدينة فى الجهتين الشرقية والجنوبية كان منتهاه إلى النهر، بينما يحدد السور الشمالى الامتداد العمرانى للمدينة فى هذه الجهة وقت إنشاء السور؛ وذلك بناء على عدة شواهد منها: أن أرض المدينة مستوية أفقياً فى هذه الجهة، فلو كان هناك مزيد من العمران لكان فى استطاعة المعمار أن يمد السور الشمالى أبعد مما هو عليه الآن دون عائق، فضلاً عن أن عمران المدينة لايزال مركزاً داخل السور، فليست هناك أحياء خارج السور (أرباض) حتى وقتنا هذا عدا بعض مبان قليلة متناثرة خارج السور الشمالى، يضاف إلى ذلك موقع كل من المسجد الجامع والقصبة، فالمسجد الجامع لاتزال بقاياه قائمة وسط المدينة تقريباً (شكل ٢) جرياً على القاعدة المعروفة فى المدن الإسلامية، أما القصبة والتى كانت تخصص عادة لسكن والى المدينة فلم تشيد بجوار المسجد بل ضمن السور الشمالى، وبالتالى لم ينحصر دورها هنا على الدفاع عن الوالى فقط؛ بل الدفاع عن المدينة بشكل عام.

ويتراوح عرض السور ما بين ٢ و٢٠ر٢م، ويختلف ارتفاعه الحالى من منطقة لأخرى لذلك يتراوح ارتفاعه ما بين ٤ و٨م تقريباً، بينما يبلغ إجمالى طوله ٣٢٠٠ م، ويحيط بمساحة من الأرض مساوية لمساحة بعض المدن الأخرى مثل: بيانه وبياسه وقاصرش وقورية وشلب ويابرة[٣٩].

والسور مشيد بالطابية كمادة بناء أساسية فى صفوف أفقية ارتفاع كل منها٩٠ر٠ م، ويلاحظ فى بعض المناطق التى سقطت فيها بعض واجهات السور بفعل عوامل التعرية وجود أحجار غير منتظمة الشكل (دبش) وشقافات من الفخار والخزف؛ استخدمت كحشو فى خلط الطابية عند صبها بين الألواح (صورة ٢)، وكتلة السور صماء لاتتخللها ممرات داخلية، وذلك نتيجة للبناء بالطابية التى يصعب معها عمل فراغات داخلية أو ممرات فى باطن السور؛ لاسيما وأن عرضه ليس كبيراً، وهى سمة مشتركة فى أسوار المدن والقلاع الأندلسية والمغربية المشيدة بالطابية.

[٣٩] Maldonado, Basilio Pavón, *Arquitecture Islamica y Mudejar en Huelva y su provincia*, Diputación de Huelva, Huelva, 1996, p. 17.

واندثر أغلب الدرابزى الحاجز المحدد لواجهة السور الخارجية والدراوى (الشرافات) التى كانت تعلوه، ولم يبق من تلك الدراوى سوى عدد قليل أعلى باب النجدة والبرج رقم (٤٢) المجاور له (شكل ٢، صورة ٣)، وهى ذات نهايات هرمية الشكل؛ وإن بدت بعضها ذات نهايات مسطحة بعد اندثار قمتها الهرمية. وقد شاع استخدام هذا النوع من الدراوى فى العمارة الدفاعية فى الأندلس فى عصر الموحدين، وتوجد أبرز أمثلته فى قلعة جابر وزيادة الموحدين فى سور إشبيلية وكذلك قصبة بطليوس وسور قاصرش واستجه. وكان يصعد إلى الممشى العلوى للسور بواسطة سلالم مشيدة بالطابية والحجر لصق واجهة السور الداخلية، تدل على ذلك بقايا درج بالسور الشمالى بجوار باب النجدة[٤٠].

الأبراج

يشتمل بناء السور على (٤٢) برجاً بما فى ذلك أبراج الأبواب، وتتركز أغلب الأبراج فى السورين الشمالى والجنوبى، وهى موزعة على مسافات تتراوح ما بين ١٠ و٢٠م، فى حين يقل عدد الأبراج وتزيد المسافة بينها فى السور الشرقى فتتراوح ما بين٢٢ و٣٠م فى القطاع الجنوبى منه الممتد بين كل من البرج رقم (٩) والبرج رقم (١٢)، وتزيد عن ٥٠م فى القطاع الشمالى منه بين البرج رقم (٥) وباب المرفأ (شكل ٢). ولعل السبب فى قلة عدد أبراج السور الشرقى راجع إلى بنائه على النهر مباشرة، وبالتالى لم تكن هناك حاجة لبناء عدد كبير من الأبراج، على العكس من السورين الشمالى والجنوبى. والجدير بالذكر أن توزيع الأبراج على مسافات تتراوح ما بين ١٠ و٢٠م هى إحدى سمات العمارة الدفاعية الأندلسية بدءاً من عصر الإمارة ومثاله قصبة ماردة ٢٢٠هـ (٨٣٥م)، ومروراً بعصر الخلافة ومثاله قلعة برج الحامّة (Baños de la Encina) ٣٥٧ هـ (٩٦٨م)[٤١] (شكل ٣)، وحتى عصر المرابطين ومثاله أسوار قصر ابن سعد المعروف بقلعة منتقوط[٤٢] (Castillejo de Monteagudo).

[٤٠] Castro, Fatima Roldán, *Niebla Musulmana Siglos VIII-XIII,* Diputación Provincial De Huelva, Huelva, 1993, p. 240.

[٤١] Córcoles, Juan Vicente, *Baños de la Encina,* Jaen, 1992, p. 20.

[٤٢] Palázon, Julio Navarro, «El Castillejo de Monteagudo: Qasr Ibn Sad», en *Casa y Palacios de Al-Andalus,* Madrid, 1995, p. 65, fig. 32.

وأبراج سور لبلة جميعها مربعة أو مستطيلة ماعدا البرجين رقمى (٥) و(١٢) فهما مثمنان، ويتراوح عرض الأبراج ما بين ٤ و٥م، ويتراوح بروزها عن كتلة السور ما بين ٣ و٤م، وهى أبراج صماء مشيدة بالطابية على قاعدة من الحجر متوسط الحجم، بينما شيدت زواياها بالحجر المشذب كبير الحجم لتقوية البناء (صورة ١)، وتشبه بذلك أبراج قلعة جرمانه (Jurumenha) بالبرتغال وتؤرخ بنهاية القرن الخامس الهجرى (١١م)[٤٣].

وارتفاع أغلب هذه الأبراج مسامت لارتفاع السور الآن، ولاتعلوها حجرات رماية، ويشاهد فى بعضها درابزى من الحجر والطابية يحدد هيئة البرج ويرتفع عن منسوب السور (صورة ٤)، ومنها برج واحد فقط لايزال محتفظاً بالدراوى العلوية وهو البرج رقم (٤٢) (صورة ٣). والأبراج المربعة الصماء التى لا تعلوها حجرات رماية كانت أيضاً من سمات العمارة الدفاعية الأندلسية منذ عصر الإمارة وحتى عصر المرابطين، ومن أمثلتها أبراج كل من قصبة ماردة وبرج الحامّة وقصر ابن سعد السابق ذكرهم، بالإضافة إلى الأبراج الأصلية فى قلعة طريف٣٤٩ هـ (٩٦٠م)[٤٤] وأبراج حصن غرماج ٣٥٤هـ (٩٦٥م)[٤٥]، فضلا عن عمارة أبراج سور إشبيلية الأصلية فى عصر المرابطين قبل أن يضيف الموحدون حجرات الرماية فوق الأبراج[٤٦].

ويشتمل بناء السور – كما سبق القول – على برجين مثمنين هما البرج رقم (٥) والبرج رقم (١٢) (شكل ٢)، ويقع الأول منهما بالزاوية الشمالية الشرقية للسور (صورة ٥)، وهو مشيد على قاعدة مربعة من الأحجار الضخمة، وحوّلت القاعدة المربعة إلى مثمن بواسطة مثلثات منزلقة، كل منها عبارة عن مثلث متساوى الساقين قاعدته لأعلى ورأسه لأسفل، وشيد باقى البرج بالطابية بين أحجار متوسطة الحجم فى الزوايا، والبرج من كتلة صماء يعلوها درابزى يحدد هيئتها.

[٤٣] Maldonado, *Arquitectura*, p. 19.

[٤٤] Silva, Antonio Torremocha, «Fortificaciones islamicas en la orilla norte del estrecho», en *el Congreso Internacional: Fortificaciones en Al-Andalus*, Algecira, 1998, p. 195, fig. 8.

[٤٥] مورينو، مانويل جوميث، الفن الإسلامى فى اسبانيا، ترجمة د. لطفى عبدالبديع ود. السيد عبدالعزيز سالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص٢٠٥ ، ٢١٠.

[٤٦] عبدالنعيم، الاستحكامات، ص١٨٨–١٨٩ ، ٢٧٣–٢٧٥.

أما البرج الآخر (رقم ١٢) فيقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية للسور (صورة ٦)، ويطل على النهر مباشرة، وهو مثمن من قاعدته إلى قمته، ويعرف ببرج الذهب على غرار تسمية برج الذهب المعروف فى إشبيلية[٤٧]، وكان متهدماً إلى حد كبير[٤٨]، وتم ترميمه مع السور فيما بين سنتى ١٩٨٢ و١٩٨٦م. وهو عبارة عن كتلة صماء مشيدة بالطابية وزواياها من الحجر، ولاتعلوه حجرات رماية. وأرجح أن هذا البرج يرجع إلى عمارة أجراها الموحدون فى السور وأنه كانت تعلوه حجرات رماية، ويتضح ذلك من خلال مقارنته بالنماذج الأخرى التى لاتزال باقية للأبراج المثمنة والتى ترجع جميعها لعصر الموحدين، ومنها: برجين فى سور مدينة استجة يقع أحدهما فى شارع كالثادا (Calzada)، ويشبه برج لبلة إلى حد كبير حيث يتكون الآن من كتلة مثمنة صماء لاتعلوها حجرة رماية (صورة ٧)، وكذلك برجان فى سور مدينة قاصرش، يعرف أحدهما ببرج ديسموتشادا (Desmochada) وتعنى «الذى أزيلت قمته» فى إشارة واضحة إلى قمته الأصلية أو حجرة الرماية التى أزيلت وجددت حديثاً بشكل مغاير (صورة ٨)، تؤكد ذلك عمارة البرج المثمن الثانى فى سور نفس المدينة ويعرف بالبرج المدور (Redonda) ولايزال محتفظاً بحجرة الرماية التى تعلوه. ومن الأمثلة الأخرى الباقية لهذا النوع من الأبراج: برجين فى مدينة شريش أحدهما فى زاوية القصبة والآخر فى سور المدينة، وبرج اسبانتابروس (Espantaperros) فى قصبة بطليوس، وبرجين فى سور أرشدونة[٤٩].

الأبواب

تفتح فى السور خمسة أبواب رئيسية بالإضافة إلى ثلاثة أبواب سرية، وتتبع الأبواب الرئيسية من حيث التخطيط الطراز الذى انتشر فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين، والذى يتألف من ممر منكسر على هيئة زاوية قائمة واحدة داخل برج مربع أو مستطيل[٥٠].

[٤٧] Maldonado, *Torre*, p. 412.

[٤٨] Maldonado, *Arquitectura*, p. 19; *Torre*, p. 412.

[٤٩] Balbás, Leopoldo Torres, La Alcazaba Almohade de Badajos, *Al-Andalus*, vol. VI, fasc. 1, 1941, p. 179; Las Torres Del Oro y De La Plata En Sevilla, *Archivo Español De Arte y Arqueología*, no. 28, Enero-Abril, 1934, p. 100; Maldonado, *Arquitectura*, p. 19, 25; *Torre*, p. 412; Castro, *Niebla*, p. 247.

[٥٠] عبدالنعيم، أسامة طلعت، ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١–١٣م)، كتاب الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٣٨.

والأبواب موزعة على النحو التالى: بابان فى السور الشمالى هما باب النجدة (Puerta del Socorro) وباب إشبيلية (P. de Sevilla)، وباب فى السور الشرقى هو باب المرفأ (P. del Embarcadero)، وبابان فى السور الجنوبى هما باب الماء (P. del Agua) وباب الثور (P. del Buey) (شكل ٢). وإن لم يرد فى ضوء المصادر والمراجع العربية القديمة التى اطلعت عليها ذكر لأسماء هذه الأبواب، إلا أن هذه الأسماء الحالية لها مايفسرها، فهى إما مرتبطة بمواقع الأبواب، أو مرتبطة بأحداث تاريخية أو رسوم كانت منقوشة عليها.

باب النجده

عرف بهذا الاسم نسبة إلى صورة كانت منقوشة على جدرانه الداخلية لقديسة تعرف بعذراء النجدة (Virgen del Socorro)[٥١]، وقد اندثرت هذه الصورة الآن.

وبرج الباب مستطيل عرضه١٠٫٦٠ م، ويبرز عن واجهة السور بمقدار٦٫٥٠ م، وهو مشيد بالطابية، بالإضافة إلى استخدام الأحجار فى الزوايا والعقود (صورة ٣) والآجر فى التغطيات والعقود الداخلية .ويفتح باب الواجهة الخارجية بالضلع الشرقى إلى يمين الواقف أمام البرج (شكل ٤)، واتساع فتحة الباب ٢٫١٥ م يتوجها عقد حدوة فرس نصف دائرى غائر داخل إطار مستطيل رأسى يقطع ضلعاه الجانبيان امتداد الحد الخارجى للعقد (صورة ٩)، ويؤرخ هذا التكوين من العقد وإطاره بالقرن السادس الهجرى (١٢م)، ومن أبرز أمثلته الأخرى باب قصر إشبيلية بمدينة قرمونة وباب التاج بقصبة بطليوس[٥٢]. وتؤدى فتحة الباب إلى مساحة مستطيلة عرضية يتضح من خلالها سمك جدار البرج، ويغطيها قبو نصف دائرى من الحجر ذى القطع المتوسط لايزال محتفظاً فى طرفى الضلع الشرقى منه بسكرجتى ضلفتى الباب؛ وتتكون كل منهما من كتلة مستطيلة من الحجر وبوسطها دائرة غائرة، كان يثبت فيها المحور الذى تدور حوله ضلفة الباب. وتؤدى هذه المساحة إلى المستطيل الأوسط لممر الباب وهو مواز لمحور السور، ويبلغ طوله ٦٫٦٠ م وعرضه٣٫٤٠ م، يغطيه قبو طولى نصف دائرى من الآجر (صورة ١٠)، وبالضلع الشمالى منه دخلتان، اتساع كل منها٢٫٢٠ م وعمقها ٠٫٩٠ م، ويغطى كل منها قبو نصف دائرى من الآجر، وأرضية هاتان الدخلتان مساوية الآن

[٥١] De los Rios, Amador, *Huelva*, Edición El Albir, Barcelona, 1983, p. 193.

[٥٢] Martín, Alfonso Jiménez, *La Puerta de Sevilla en Carmona*, Sevilla, 1989, p. 197.

لأرضية الممر، وأرجح أنه كان بكل منها جلسة لاستراحة المكلفين بحراسة الباب. وبالضلع الجنوبى لهذا المستطيل ممر قصير يفتح فى كتلة السور ويؤدى إلى داخل المدينة، يغطيه قبو طولى نصف دائرى، يبدأ فى طرفه الشمالى بعقد موتور منخفض من الحجر، وبطرفه الجنوبى عقد نصف دائرى من الحجر هو عقد الواجهة الداخلية للباب (صورة ١١)، ويعلو هذه الواجهة درابزى من الآجر يحمل دراوى ذات نهايات هرمية الشكل.

باب إشبيلية

وسمى بذلك لأنه يؤدى إلى الطريق المتجه صوب إشبيلية(شكل ٢)[٥٣]، ويفتح ممر بابه أيضاً داخل برج مستطيل، وإن كانت قد أدخلت على عمارته الأصلية تعديلات فى القرن ١٧م، حيث سدت فتحة الباب الخارجى بالبناء، واستحدثت فتحة باب فى الضلع الشمالى الشرقى من برج الباب لجعل ممره مباشراً لتيسير المرور من خلاله[٥٤] (شكل٥ ، صورة ١٢). وفيما عدا ذلك لايزال الباب محتفظاً بعمارته الأصلية ومنها عقد الواجهة الخارجية، ويشبه عقد باب النجدة السابق ذكره، غير أنه تعلوه زخارف معمارية منفذة بالآجر على هيئة بائكة صماء ذات عقود مفصصة لاتظهر تفاصليها بوضوح الآن. والمساحة الوسطى من ممر المدخل مربعة تغطيها قبة ضحلة على مثلثات كروية (صورة ١٣)، وتفتح بالضلع الشمالى الغربى للمساحة الوسطى دخلة صماء واحدة.

باب المرفأ

وهو أقرب أبواب المدينة للنهر، وعرف بهذا الاسم لأنه كان يؤدى إلى المرفأ أو الميناء النهرى للمدينة، وقد اكتشف هذا الميناء سنة ١٩٣٤م، وكان عبارة عن درج سلم من الحجر يهبط فى اتجاه النهر (شكل ٦)، إلا أنه تهدم ولم يبق منه شيء الآن[٥٥]. والباب أيضاً فى حالة متهدمة إلا أن بقاياه تسمح بالتعرف على تخطيطه؛ حيث يتبع تخطيط باقى أبواب السور من حيث الممر المنكسر الذى يفتح داخل برج مستطيل (شكل ٧).

[٥٣] Castro, *Niebla*, p. 255.

[٥٤] Maldonado, *Arquitectura*, p. 24.

[٥٥] Castro, *Niebla*, p. 251.

باب الماء

شيد هذا الباب على قاعدة من الحجر، وفتحة بابه الخارجى مرتفعة عن منسوب الأرض أمامه، لذلك يتوصل إليه بواسطة طريق صاعد ممهد (صورة ١٤)، كما استخدمت فى بنائه الطابية والآجر، ويحدد هيئة برج الباب من اعلى درابزى من الحجر، ويتوج كل من باب الواجهة الخارجية (صورة ١٤) وباب الواجهة الداخلية (صورة ١٥) عقد حدوة فرس نصف دائرى داخل إطار مستطيل، ولايزال الباب محتفظاً أيضاً بسكرجتى ضلفتى باب الواجهة الخارجية خلف العقد مباشرة (صورة ١٦)، وتغطى المربع الأوسط قبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية، وتفتح عليه دخلتان إحداهما بالضلع الجنوبى والأخرى بالضلع الغربى (شكل ٨).

باب الثور

ويقال أنه سمى بهذا الاسم (بوى Buey) ومعناها (الثور) لارتباطه بحادثة تاريخية؛ مفادها أنه أثناء حصار الفونسو العاشر ملك قشتالة للمدينة وسكانها من المسلمين سنة ٦٦١هـ (١٢٦٢م)، أخرج المسلمون من هذا الباب ثوراً سميناً للدلالة على أن المدينة بها ما يكفى من المؤن ويزيد، وأنها ستصمد ضد الحصار، فكان ذلك سبباً فى تسمية الباب بهذا الاسم[٥٦]. وهناك رأى آخر اعتمد على التفسير اللغوى للكلمة وجاء به أن (بوى Buey) تحريف من لفظة (بويب) العربية صيغة التصغير للفظة (باب)[٥٧].

ويتبع الباب فى تخطيطه (شكل ٩) باقى أبواب السور، إلا أنه ينفرد عنها بأنه لايزال محتفظاً بجدار من الآجر يعلو فتحة باب الواجهة الخارجية، ويشتمل على حلية معمارية عبارة عن مستطيل أفقى مقسم إلى ثلاث دخلات مستطيلة رأسية، بكل منها عقد مدبب ذى سبعة فصوص (شكل ١٠، صورة ١٧) وعلى الرغم من أن هذا النوع من العقود يعد من أبرز العناصر المميزة للعمارة الأندلسية، ومن أقدم نماذجه الباقية

[٥٦] Rosell, *Crónica*, p. 6.

[٥٧] Giménez, Felix Hernandez, Buwayb-Bued-Cabeza del Buey, *Al-Andalus*, vol. 28, fasc. 2, 1963, p. 361.

عقود زيادة الحكم المستنصر أمام المحراب فى المسجد الجامع بقرطبة[٥٨] (٣٥٠-٣٥٥هـ/ ٩٦١-٩٦٦م) (شكل ١١)، ثم شاع استخدامه بعد ذلك فى العمارة الدينية والمدنية سواء لغرض معمارى أو زخرفى، إلا أن استخدامه فى العمارة الدفاعية - لاسيما لغرض زخرفى - يعد أمراً نادراً، ولم استدل إلا على نماذج قليلة لاستخدام العقود بشكل عام كحليات معمارية بهذا الشكل فى واجهات العمائر الدفاعية فى الغرب الإسلامى؛ وترجع جميعها إلى عصر الموحدين، ومنها بائكة صماء ذات عقود نصف دائرية بواجهة باب قصبة المنستير بتونس ويؤرخ بالقرن السادس الهجرى (١٢م)[٥٩]، والعقود نصف الدائرية الصماء بأعلى واجهة برج الزاوية المثمن بقصبة شريش، والعقود نصف الدائرية المفصصة والمدببة المفصصة الصماء بالبدن العلوى ببرج الذهب فى إشبيلية[٦٠] (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) (شكل ١٢)، وتشبه عقود باب الثور فى سور مدينة لبلة، لذلك أرجح أن هذا الجدار وما به من عقود يرجع إلى أعمال تعلية أو زيادة موحدية فى سور لبلة أو فى هذا الباب تحديداً.

أبواب السر

تفتح فى السور ثلاثة أبواب سرية صغيرة، أحدها غرب باب الماء (شكل ٢، صورة ١٨)، ويبلغ اتساعه ١٫١٠ م ويتوجه عتب مستقيم من الحجر، والثانى شرق البرج رقم (٣١) مباشرة (صورة ١٩)، ويعرف الآن بباب سانتا كاتالينا (Santa Catalena)، ويبلغ اتساعه حوالى ١٫٢٠ م ويتوجه عقد نصف دائرى، والثالث غرب مبنى القلعة ويعرف بباب الثغرة (Puerta del Agujero)، ويبلغ اتساعه أيضاً ١٫٢٠ م ويتوجه عقد نصف دائرى. وهذه الأبواب بسيطة فى عمارتها فهى مجرد فتحات فى سمت السور، وكان هذا النوع من الأبواب يستخدم عادة فى شن هجوم مضاد فى حالة تعرض المدينة للحصار، أو للهروب من خلالها إذا دعت الحاجة، لذلك تفتح دائماً بجوار الأبراج لحمايتها.

[٥٨] سالم، السيد عبد العزيز، «العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها»، كتاب «بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار»، قسمان، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٢م، ق٢، ص٥٥.
Ewert, Christian, *La mezquita De Córdoba: Santuario modelo del occidente islamico*, en «La Arquitectura Del Islam Occidental», *El legado Andalusí*, Madrid, 1995, p. 60.

[٥٩] Maldonado, Basilio Pavón, *España y Túnez Arte y Arqueología Islamica*, Madrid, 1996, p. 58, 260.

[٦٠] Márquez, Teodor Falcón, *La Torre del oro, Arte Hispalense* Sevilla, 1983, p. 41.

تأريخ بناء التحصينات وخلاصة البحث

اختلفت آراء العلماء والباحثين المحدثين حول تأريخ بناء سور المدينة، فنسبه بعضهم إلى عصر الخلافة[٦١]، فى حين نسبه البعض الآخر إلى عصر ملوك الطوائف[٦٢]، ومنهم الأستاذ مالدونادو (Maldonado)[٦٣] الذى عدّل رأيه بعد ذلك ونسبه إلى عصر المرابطين[٦٤]، وهو الرأى الذى قال به كثيرون[٦٥]، بينما نسبه البعض إلى عصر الموحدين[٦٦]. واتفق مع أصحاب الرأى الذى نسب بناء السور الحالى إلى عصر المرابطين، وأرجح أن الموحدين قد جددوا السور وشيدوا قصبة لزيادة تحصين المدينة، وأن بناء السور الحالى كان فيما بين سنتى ٥٢٠ و٥٣٩هـ (١١٢٥ و١١٤٤م)، وكان بناء القصبة فيما بين سنتى ٥٤١ و٥٤٩هـ (١١٤٦ و١١٥٤م)، وذلك بناء على مايلى:

١– ما اتضح من خلال خلاصة عرض ما جاء عن سور المدينة عند الرحالة والجغرافيين المسلمين.

٢– ما اتضح أيضاً من خلال دراسة تحصينات المدينة ودورها فى تاريخها السياسى، وما تم فيها من تحديد تاريخ بناء القصبة، أما تحديد تاريخ بناء السور فيما بين السنتين المذكورتين، فالأولى منهما – وهى سنة ٥٢٠هـ (١١٢٥م) – صدر فيها أمر على بن يوسف المرابطى إلى عماله على الأندلس بالاهتمام ببناء أسوار مدنها، وشيدت وجددت بناء على ذلك أسوار العديد من المدن منها: غرناطة والمرية وقرطبة وإشبيلية[٦٧] وغيرهم. وأرجح أن لبلة كانت من بين تلك المدن. أما التاريخ الثانى وهو سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) فتعرضت فيه المدينة لحصار من قبل ابن غانية؛ وفشل فى دخولها لمناعة أسوارها كما سبق القول، مما يثبت الانتهاء من بنائها.

٣– الدراسة الآثارية التحليلية للسور والتى أظهرت عناصر مرابطية منها: مادة البناء، ونمط تخطيط الأبواب، وأسلوب التغطيات والعقود، بالإضافة إلى عناصر موحدية منها: الأبراج المثمنة والدراوى والحليات المعمارية على هيئة عقود مفصصة.

[٦١] Diaz, Emanuel Serrano, *Castillos de Andalucía*, Madrid, 1975, p. 3.

[٦٢] Sánchez, *La Cultura*, p. 61.

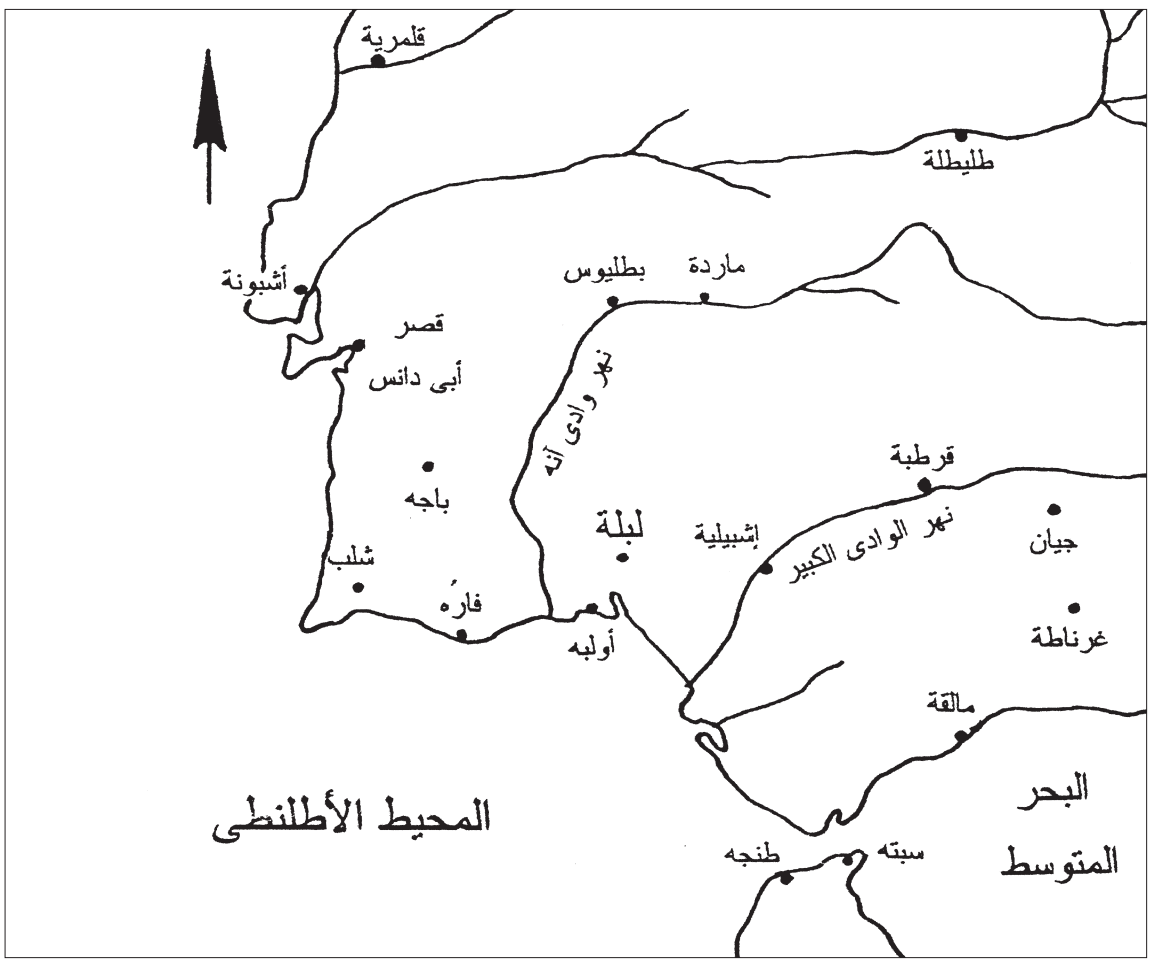
[٦٣] Maldonado, *La Torre*, p. 411.

[٦٤] Maldonado, *Arquitectura*, p. 19.

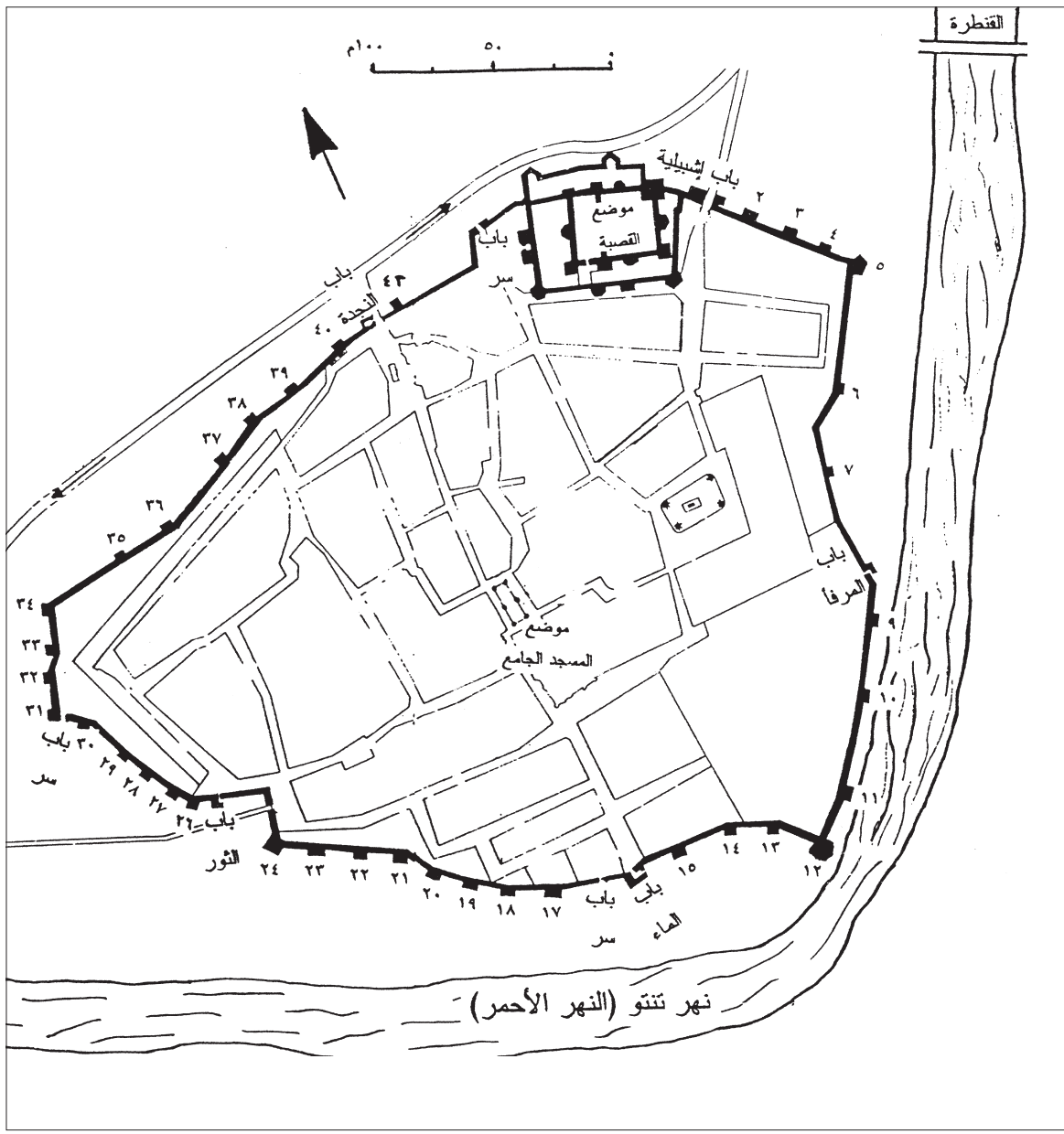
[٦٥] Balbás, Leopoldo Torres, *Nuevas perspectivas sobre el Arte de al-Andalus bajo los almoravides*, Al-Andalus, vol. XVII, fasc. 2, 1952, p. 413; Castro, *Niebla*, p. 241; Guzmán, Rafael López, *La Arquitectura de los almoravides*, en «La Arquitectura Del Islam Occidental», *El Legado Andalusí*, Madrid, 1995, p. 114.

[٦٦] Guarner, *Muralla*, p. 85.

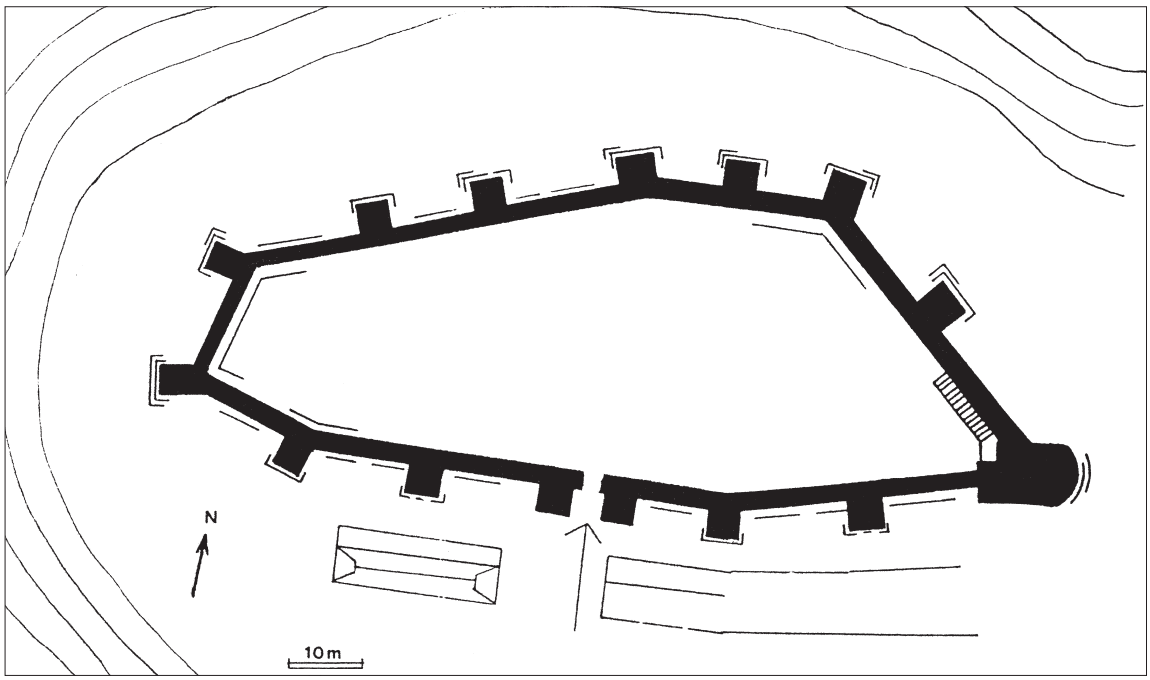
[٦٧] ابن عذارى، البيان، جـ٤، ص٧٣–٧٥.



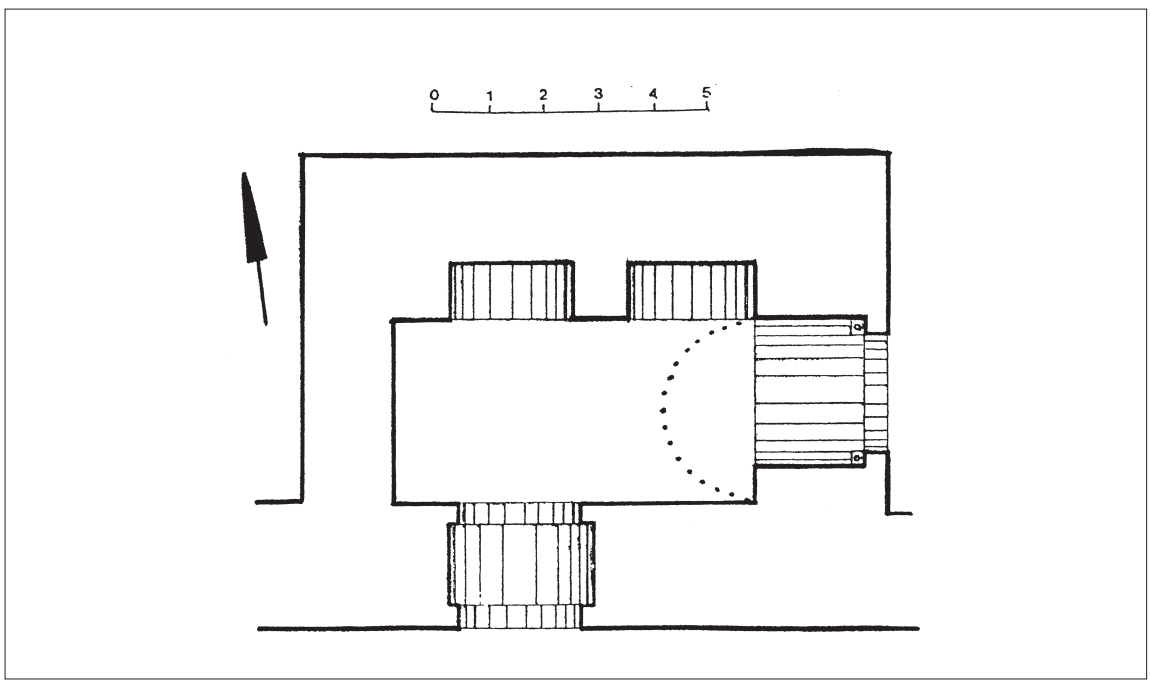
شكل ١. خريطة توضح موقع مدينة لبلة. عن: (كحيلة).



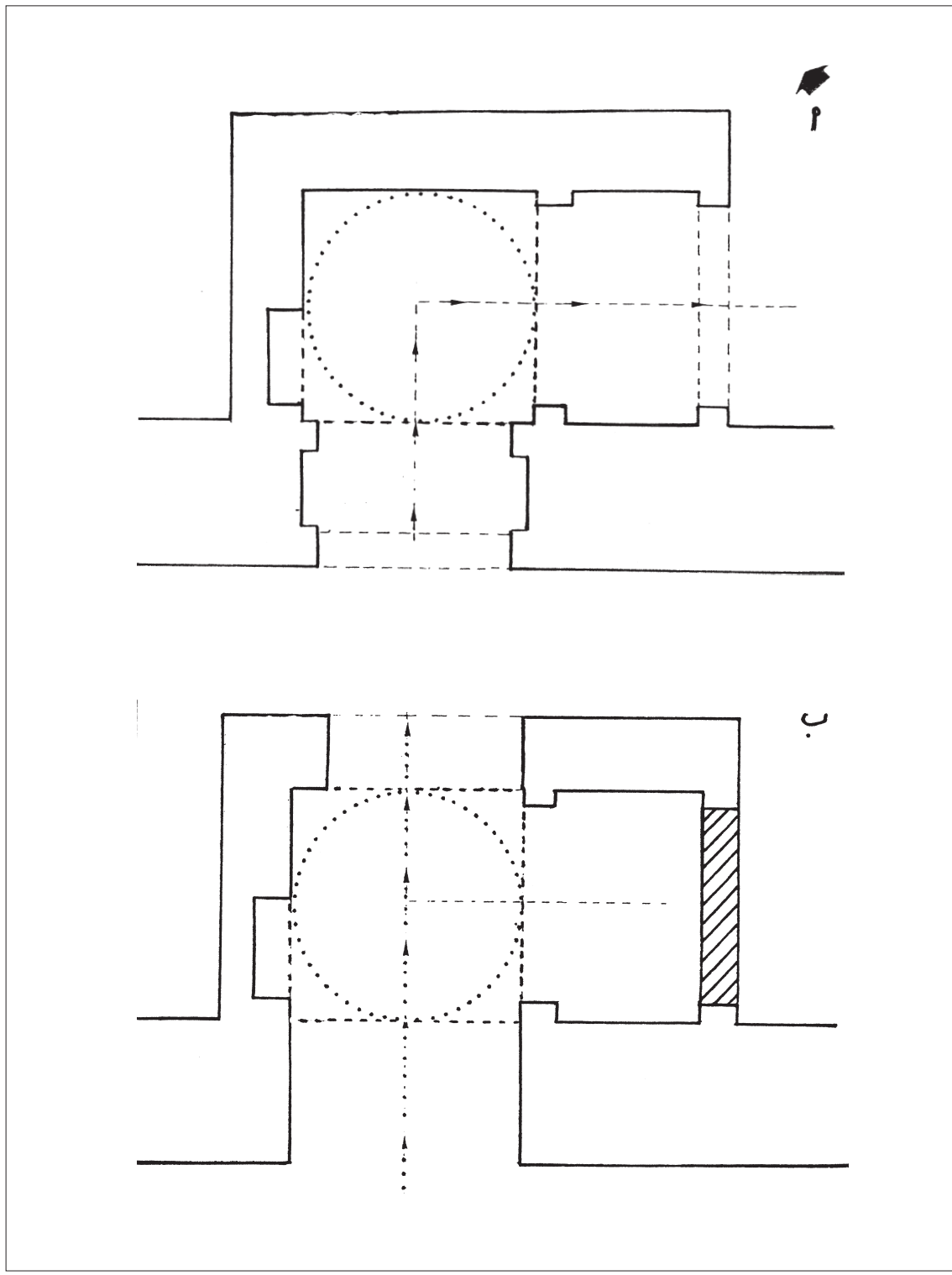
شكل ٢. لبلة. سور المدينة ومعالمها الرئيسية. عن (Moreno) (ترقيم الأبراج وتعريب الباحث).



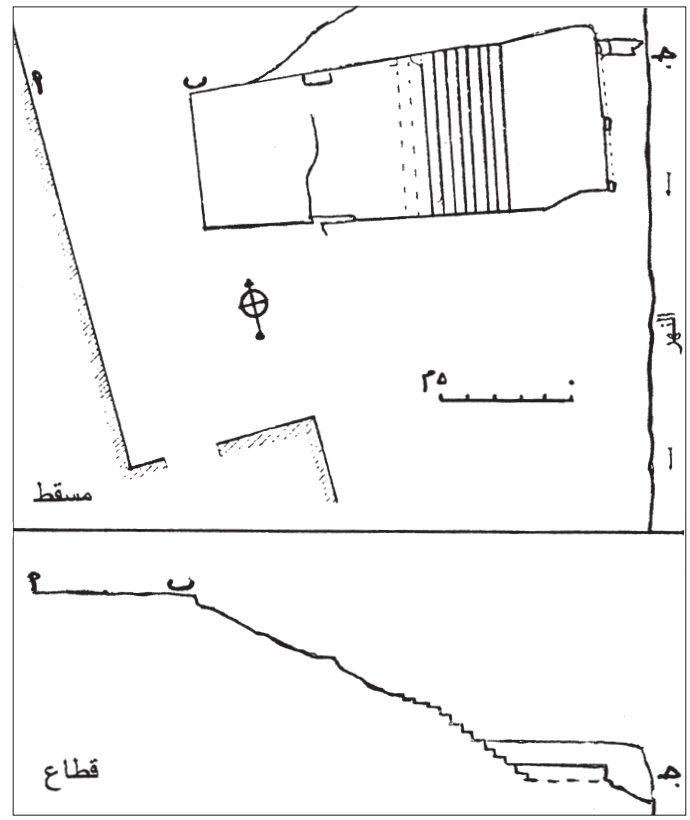
شكل ٣. قلعة برج الحامّة، مسقط عام. عن (Córcoles).



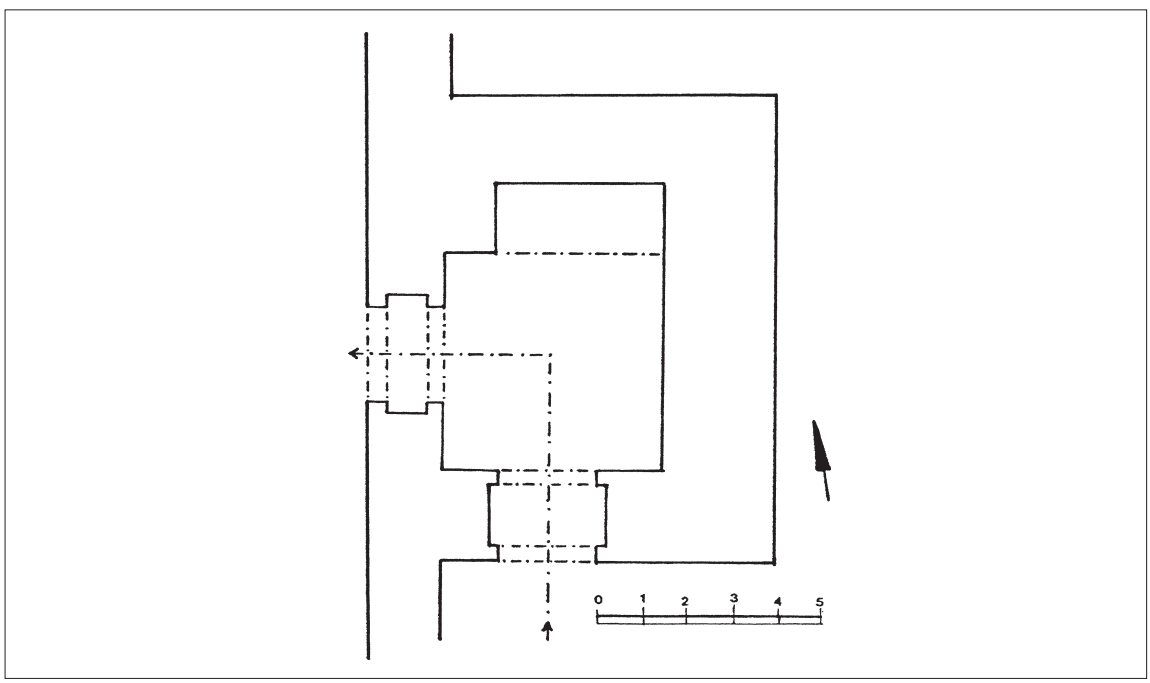
شكل ٤. لبلة. باب النجدة، مسقط أفقي. عن (Maldonado).



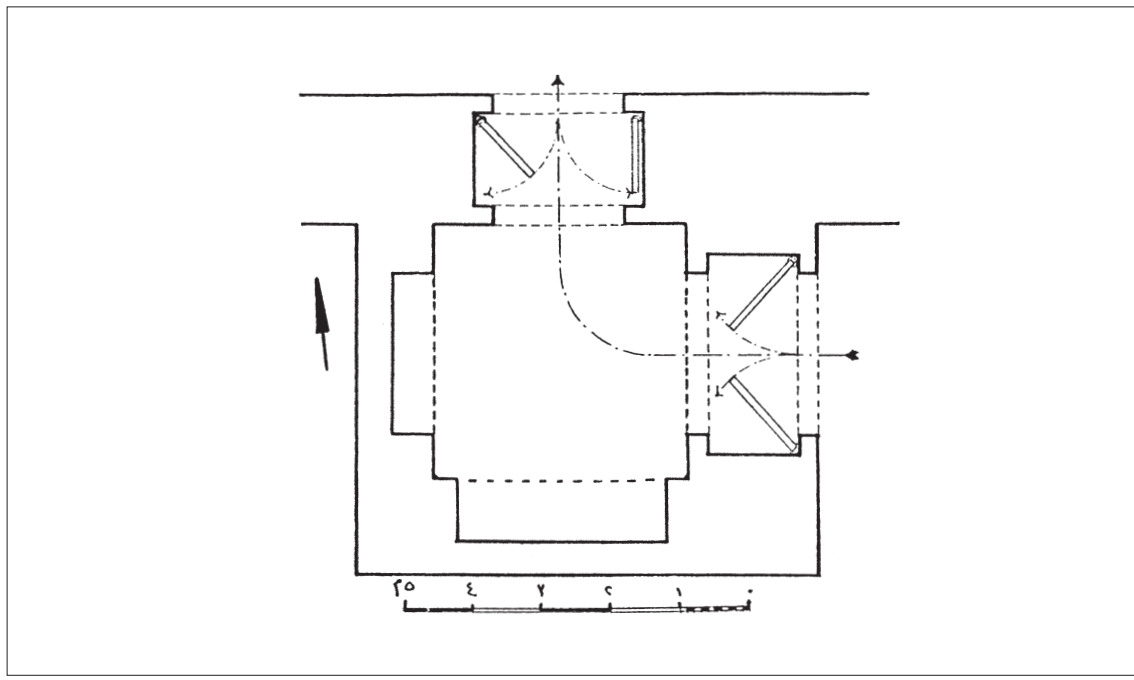
شكل ٥. لبلة. باب إشبيلية، مسقط أفقى. عن (Balbás).
ا. عمارة الباب الأصلية.
ب. الوضع الراهن للباب.



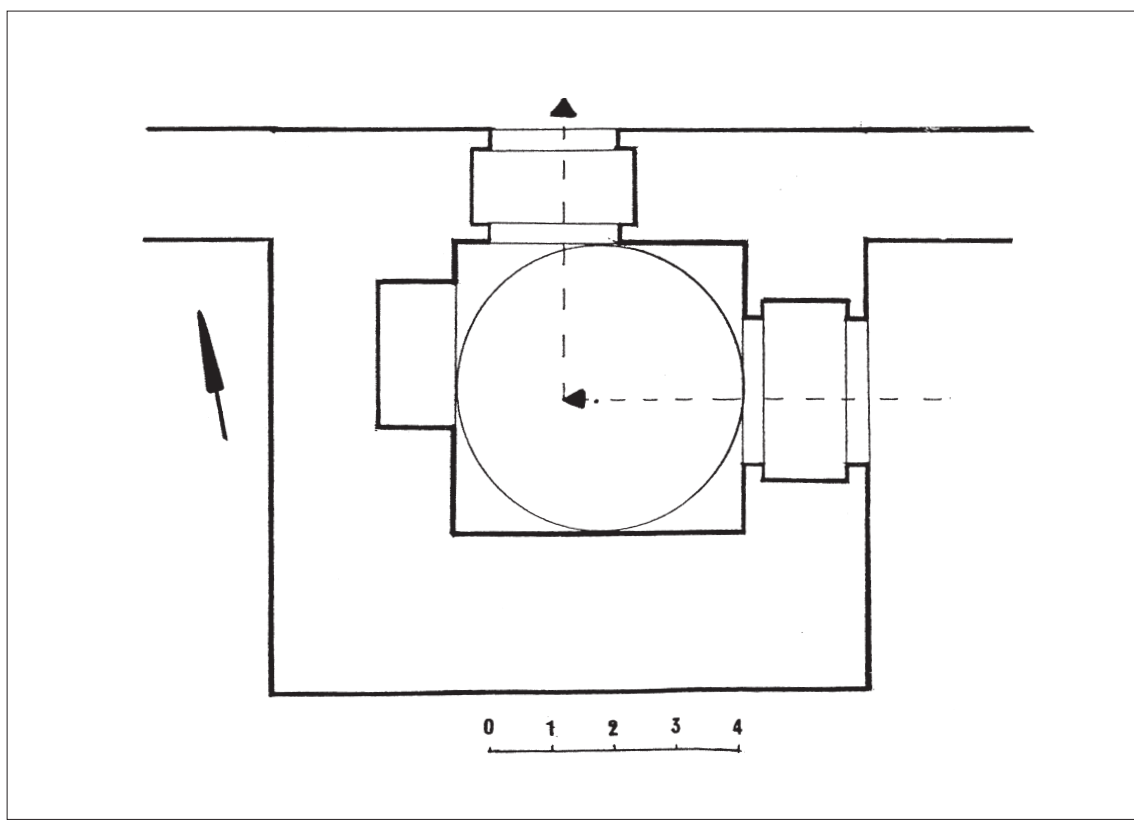
شكل ٦. لبلة. المرفأ أو الميناء، عن (Castro).



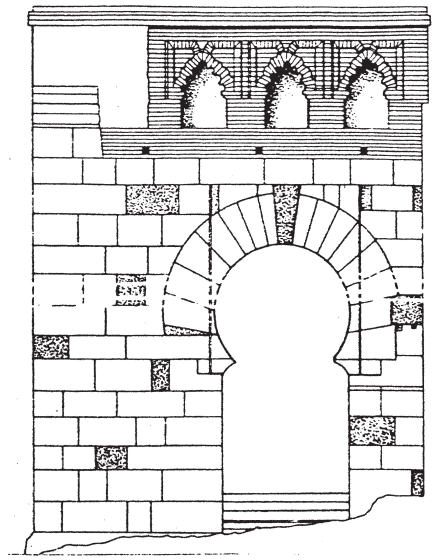
شكل ٧. لبلة. باب المرفأ، مسقط أفقي. عن (Maldonado).



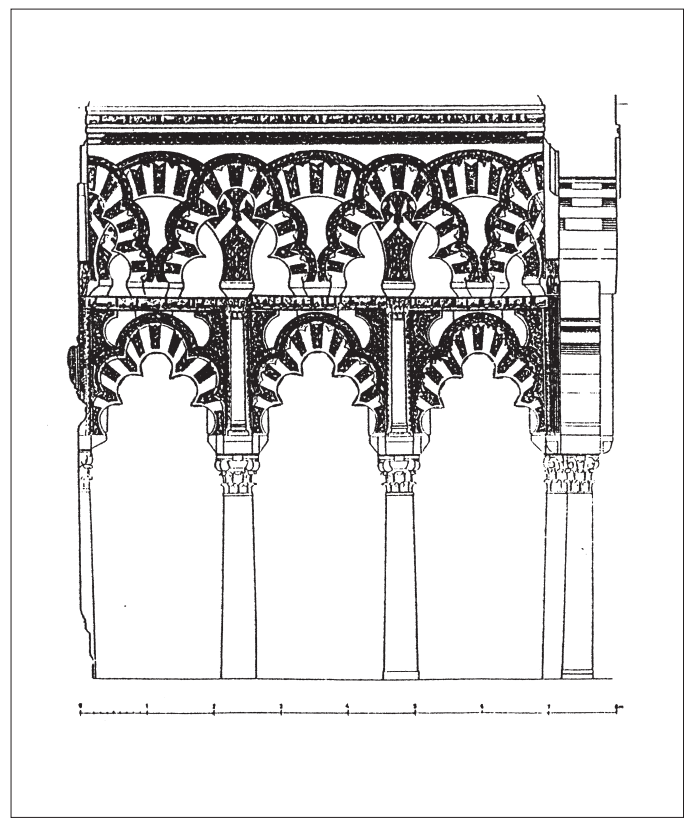
شكل ٨. لبلة. باب الماء، مسقط أفقى. عن (Balbás).



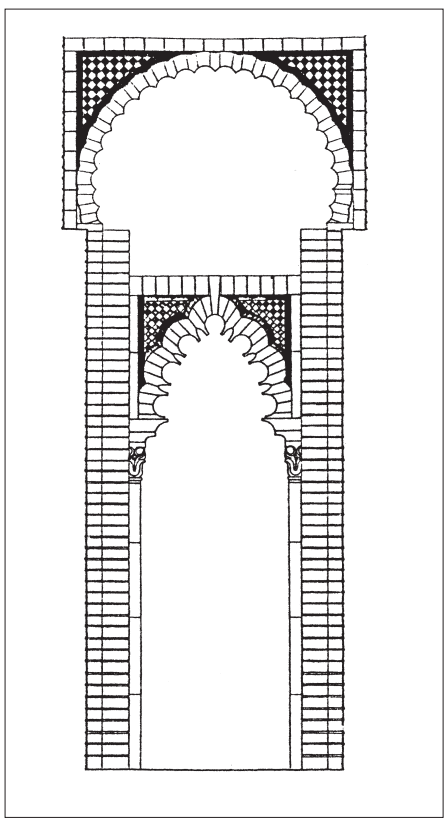
شكل ٩. لبلة. باب الثور، مسقط أفقى. عن (Maldonado).



شكل ١٠. لبلة. باب الثور، الواجهة الشرقية. عن (Guarner).



شكل ١١. قرطبة. المسجد الجامع، العقود أمام المحراب. عن (Ewert).



شكل ١٢. إشبيلية. برج الذهب، عقود دخلات البدن العلوى. عن (Márquez).



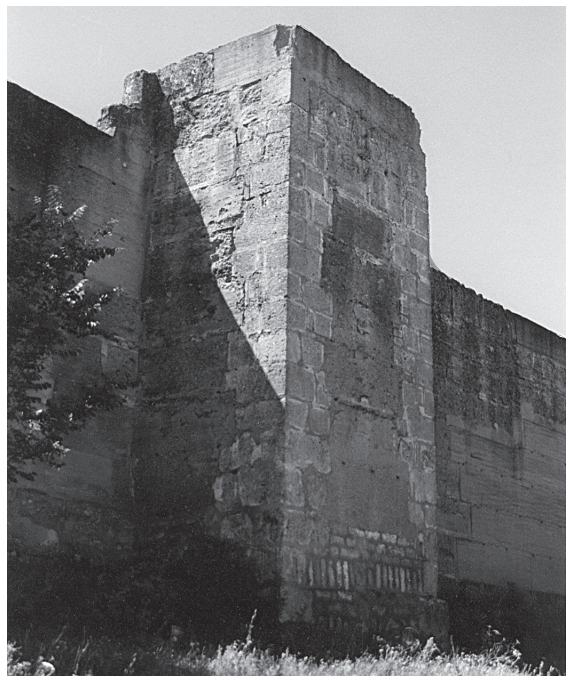
صورة ١. لبلة. الواجهة الخارجية للسور والبرجين (١٧) و(١٨).



صورة ٢. لبلة. تفاصيل الطابية شرق باب إشبيلية.



صورة ٣. لبلة. الواجهة الخارجية لباب النجدة والبرج (٤٢).



صورة ٤. لبلة. الواجهة الخارجية للبرج (٣٧).



صورة ٥. لبلة. البرج رقم (٥).



صورة ٦. لبلة. البرج رقم (١٢) وإلى يمينه السور الممتد صوب الغرب.



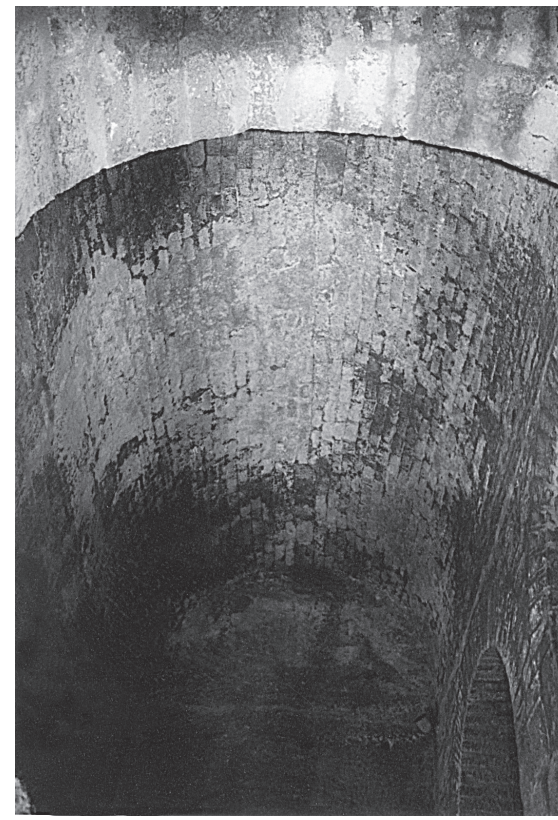
صورة ٧. استجة. برج مثمن فى إحدى زوايا سور المدينة.



صورة ٨. قاصرش. برج ديسموتشادا (Desmochada).



صورة ٩. لبلة. باب النجدة، تفاصيل الواجهة.



صورة ١٠. لبلة. باب النجدة، سقف ممر المدخل.



صورة ١١. لبلة. باب النجدة، الواجهة الداخلية.



صورة ١٢. لبلة. باب إشبيلية، الواجهة الخارجية.



صورة ١٣. لبلة. باب إشبيلية، القبة الضحلة التى تغطى المساحة الوسطى.



صورة ١٤. لبلة. باب الماء، الواجهة الخارجية.



صورة ١٥. لبلة. باب الماء، الواجهة الداخلية.



صورة ١٦. لبلة. باب الماء، سكرجتى الباب.



صورة ١٧. لبلة. باب الثور، الواجهة الخارجية.



صورة ١٨. لبلة. باب السر، غرب باب الماء.



صورة ١٩. لبلة. باب السر بجوار البرج رقم (٣١).